سلسلة مقارنة الأديان (٥)

التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء



تأليف

د. محمود على حماية

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

مراجعة الأستاذ

خالد محمود على حماية

مكتبة الإيمان

سلسلة مقارنة الأديان (٥)

التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء

تأليف

د. محمود على حماية

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

مراجعة الأستاذ

خالد محمود على حماية

الناشر

مكتبة الإيمان

٤ شارع أحمد سوكارنو - العجوزة
ت: ٣٣٤٥٢٣٠٢ - فاكس: ٣٣٠٤٤٨٤١

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٤٣٧٠
ISBN:978-977-449-039-2

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فهذا بحث عن التجسد والصلب عند النصارى، عرضت فيه عقيدة الحلول والاتحاد كما قررها علماؤهم، ثم ناقشت في نقاط رئيسة تلك العقيدة، مبينا بالحجج والبراهين، استحالة تجسد الإله، أو حلوله في غيره من البشر.

ثم تحدثت عن قضية الصلب، وشرحت أصولها، ووضحت أهميتها – عند النصارى – وأنها الأساس الذي تقوم عليه ركائز النصرانية ثم أخذت في مناقشة القول بصلب المسيح مناقشة علمية مرتبة، تكشف للقارئ المنصف استحالة صلبه (عليه السلام) لأدلة كثيرة أوردتها في أماكنها من هذا البحث.

ثم كشفت النقاب عن أصول تلك العقائد مبينا أنها عقائد دخيلة، وفدت على النصرانية من الأديان الوثنية القديمة كديانة قدماء المصريين والهنود الوثنيين.

وفي نهاية البحث رددت على الأدلة التي ذكرها علماء المسيحية ليثبتوا بها موت المسيح على الصليب كما تقرر آناجيلهم.

ومهما يكن من أمر، فإن الإسلام عندما ينفي عن المسيح القتل والصلب،

فإنه يجله ويكرمه – خصوصا وأن النصارى يقولون عنه إنه إله وابن لله – لأن الصلب فيه قدرة من الصالب على المصلوب–كما يقول شيخنا الشعراوي – فكيف ينقلب الإله مقدورا عليه من مخلوق؟

أسأل الله سبحانه – أن يتقبل عملي هذا، ويجعله نافعا لعباده، وزادا لي يوم لقاء ربي .

ورحم الله قارئا رفع يديه وقال آمين.

دكتور / محمود على حماية

القاهرة في غرة رجب ١٤١٠هـ

عقيدة التجسد والاتحاد

لعل من المناسب أن ندع النصارى أنفسهم يصورون لنا عقيدة التجسد كما يدينون بها دون تدخل منا إلا في التعقيب والتوضيح، يقول الكاتب الأستاذ زكي شنودة وهو يتحدث عن تجسد السيد المسيح حسب عقيدتهم: "حين خالف آدم وصية الله جلب الموت على نفسه وعلى سائر ذريته، وطرد هو وذريته من الفردوس، ولم يبق لهم حق الدخول فيه والتمتع بمجد الله كما كانوا أولاً إلا بعد الحصول على مغفرة خطاياهم، ولم يكن ممكناً للإنسان أن يقدم كفارة عن خطاياه لعجزه وتسلط هذه الخطايا على طبعه.

وقد كان الله قادراً على أن يجري على آدم أحد أمرين: فإما أن يهلكه عقاباً له على جريمته، أو يسامحه تعطفا على ضعف طبيعته، إلا أن عقابه يتضمن العدل ولكنه يهدر الرحمة كما أن تبريره بلا كفارة يتضمن الرحمة ولكنه يهدر العدل، في حين أنه لا يمكن إهدار إحدى هاتين الصفتين، لأن في ذلك نقصاً والخالق منزه عن النقص.

لذلك دبرت الحكمة الإلهية واسطة عجيبة بها يخلص الإنسان، ويستوفى العدل الإلهي حقه في ذات الوقت.

وتلك هي ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة إلهية، باشتراكها مع طبيعة الله نفسه، حتى يتسنى لها أن تكفر عن معاصيها وتفي ما عليها تجاه العدل الإلهي. ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتجسد ابن الله وتأله طبيعته البشرية، حتى يمكن أن تتم

المصالحة بين الله والناس، لأن العدل الإلهي يقضي بأن الطبيعة التي أخطأت هي التي تموت، ومن ثم فقد الله طبيعة الإنسان لكي يتحمل فيها القصاص الواجب، واتحد بالجسد اتحاداً جوهرياً، حصل به الجسد على كمال غير متناه، يتيسر له بواسطته أن يقدم الكفارة على خطيئته غير المتناهية، وبذلك فقد كانت هذه الوسيلة هي أسمى الوسائل وأحكمها، لأنها استوفت العدل والرحمة معاً، ووفقت بينهما، إذ أعطت كلا منهما حقه: فالعدل لم يزل عدلاً عندما ظهرت الرحمة، والرحمة لم تزل رحمة عندما تم العدل"[1].

مناقشة هادئة لعقيدة الحلول والاتحاد:

أولاً: كيف يجوز اتحاد قديم بالمحدث وكيف يجوز حلول اللاهوت بالناسوت؟ ولو جاز ذلك لكان اللاهوت متميزاً، وكان يلزم محذور آخر أن الصلب والألم دخلا على اللاهوت مع الناسوت المتحد به[2].

ثانياً: هذا الاتحاد أعني الامتزاجي لا يصدق إلا في حق الكائنين كالخل والعسل، وأما في الله تعالى فلا، ويلزمهم أن يكون المسيح لا إلهاً ولا إنساناً، لأن المتكون من شيئين ليس هو أحد الشيئين فإن المتكون من الخل والعسل لا يطلق عليه بعد التركيب أنه خل ولا أنه سكر فيكون للمسيح حسب زعمهم طبيعة ثالثة[3].

وبتعبير آخر: هل الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح

---

(١) زكي شنودة : تاريخ الأقباط ٢٣٨/١ الطبعة الأولى.

(٢) الشيخ عفيف بن مومل : رسالة لاهوتية تاريخية على مذاهب النصارى بمجلة المشرق (٢٠) لسنة ١٩٢٢م ص٩١٩.

(٣) السابق ص٩٢٤ وما بعدها (وهذا الرد يلزم فرقة الأرثوذكس).

أصبحتا بعد الاتحاد ذاتين، وجوهرين، أو صارتا جوهرا واحدا؟ فإن قيل: إنهما بعد الاتحاد ذاتان وجوهران كما كانا قبل الاتحاد فليس ذلك باتحاد، وإن قيل: صارا جوهرا واحدا – كما يقول بعضهم إنهما صارا كالنار مع الحديد، أو اللبن مع الماء – نقول: هذا يستلزم استحالة كل منهما، وانقلاب صفة كل منهما بل حقيقته كما استحال الماء واللبن إذا اختلطا إلى شئ ثالث – وحينئذ يلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته، والاستحالة لا تكون إلا بعدم شئ ووجود آخر، فيلزم عدم شيئ من القديم الواجب الوجود بنفسه.

وما وجب قدمه استحال عدمه، وما وجب وجوده امتنع عدمه[1].

ثالثا: إنهم يشبهون اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن، كما شبهوا هنا ظهوره فيه بظهور الروح في البدن، وحينئذ فمن المعلوم أن ما يصيب البدن من الآلام تتألم به الروح، وما تتألم به الروح يتألم به البدن، فيلزم أن يكون الناسوت لما صلب وتألم وتوجع الوجع الشديد كان اللاهوت أيضا متألما متوجعا.

يقول ابن تيمية: "وقد خاطبت بهذا بعض النصارى فقال لي: الروح بسيطة، أي لا يلحقها ألم، فقلت له: فما تقول في أرواح الكفار بعد الموت أمنعمة أو معذبة؟ فقال: هي في العذاب فقلت: فعلم أن الروح المفارقة تنعم وتعذب، فإذا شبهتم اللاهوت في الناسوت بالروح في البدن لزم أن تتألم إذا تألم الناسوت كما تتألم الروح إذا تألم البدن، فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك"[2].

---

(١) انظر : ابن تيمية، الجواب الصحيح (٢/١٦١).

(٢) السابق ص١٧٢.

ويقول في موضوع آخر[1]: "يلزم من عقيدة الاتحاد والحلول أن الصلب وقع على اللاهوت والناسوت؛ لأنهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت يشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن، وهذا تشبيه اليعقوبية (الأرثوذكس) وتارة باتحاد النار بالحديد أو النفس بالجسم، وهذا تشبيه الملكانية (الكاثوليك) وغيرهم.

ومعلوم أنه لا يصل إلى الماء إلا وصل إلى اللبن، فإنه لا يتميز أحدهما عن الآخر، وكذلك النار التي في الحديد متى طرق الحديد أو بصق عليه لحق ذلك بالنار التي فيه، والبدن إذا ضرب وعذب لحق ألم الضرب والعذاب للنفس، فكأن حقيقة تمثيلهم يقتضي أن اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت من إهانة اليهود وتعذيبهم وإتلافهم له والصلب الذي ادعوه.

وهذا لازم على القول بالاتحاد، فإن الاتحاد لو كان ما يصيب أحدهما لا يشركه الآخر فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد.

رابعاً: قولكم إن الله تعالى حل في البشريّ المأخوذ من مريم ليس يخلو أن يكون قد حل فيه كمثل العرض في الجوهر، وهذا مما يؤدي إلى القول إن الله تعالى عرض، أو كحلول الجسم في الجسم، وهذا دليل بأن الله جسم والقولان كفر.

ثم ليس يخلو – أيضا – أن يكون الجوهر الإلهي كله على الكمال حل في البشرى المأخوذ من مريم أو بعضه فإن كان كله حل فيه فقد انحصر، وإن كان حل بعضه فقد تجزأ أو تبعض والقولان كفر[2].

---

(١) السابق (٢/٢٩٧) وانظر: (٢/٢٥٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٨)

(٢) مجالس إيليا مطران نصيبين، نشرها الأب لويس شيخو اليسوعي بمجلة المشرق (٢٠) لسنة ١٩٢٢ ص١١٢.

خامساً: ادعاء تجسد كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق، وولادتهما معاً أي الكلمة مع الناسوت، وهو الذي يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت، هو أمر ممتنع في العقل، ولم يدل عليه نقل، ولا نطق نبي من الأنبياء بأن الله يحل في البشر، ولا ادعى صادق قط حلول الرب فيه، وإنما يدعي الكذابون كالمسيح الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، ويدعي الألوهية فينزل الله عيسى ابن مريم فيقتله، ويبين أن البشر لا يحل فيه رب العالمين.

سادساً: إنه إذا أمكنه أن يتحد ببشر فاتحاده بملك من الملائكة أولى وأحرى، وحينئذ فقد كان اتحاده بجبريل الذي أرسله إلى الأنبياء أولى من اتحاده ببشر يخاطب اليهود، وعوام النصارى.

كذلك لو كان حلوله في البشر ممكناً وواقعاً لما اختص بذلك المسيح دون من قبله وبعده؛ لأن القدرة شاملة والمقتضى وهو وجود الله وحاجة الخلق – موجود، ولهذا لما كانت الرسالة ممكنة أرسل من البشر غير واحد، ولما كان سماع كلامه للبشر ممكناً سمع كلامه غير واحد.

سابعاً: إنه من المعلوم أن رؤية الآدمي لله سبحانه أيسر من اتحاده به، وحلوله فيه، وأولى بالإمكان فإذا كانت الرؤية في الدنيا قد نفاها الله، ومنعها على ألسن رسله موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه، فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده به[1]؟!.

ثامناً: لا يمكن التسليم بالتفسير الوارد في العقائد الكنسية في أن "الأب

---

(١) ابن تيمية: الجواب الصحيح (٢/٢٦٩).

والابن والروح القدس هم الإله السماوي رب السماوات والأراضيين ضابط الكل تجسد وتأنس في بطن مريم البتول".

لأنه لا يمكن لإله بدون الكمال المطلق أن يكون إلها، فإذا تجسد الإله بأقانيمه الثلاثة في بطن مريم العذراء يكون قد تجرد من كماله المطلق؛ لأنه ما دام قد سمح لنفسه أن يسلك مسلك البشر: تحمل به أمه وتلده، إذا لابد أن تجري عليه سنة الحياة والموت... مما يؤثر على أقانيمه الثلاثة، والله جل جلاله منزه عن الوالدية والمولودية، والتركيب والتجسيم والاحتياج، وسابقية العدم ولاحقية الفناء، وسائر صفات الحوادث، وكل ما لا يليق بذاته العلية[(١)].

تاسعا: يقولون: إن المسيح فعل المعجز بلاهوته، وأظهر العجز بناسوته. فيقال لهم: إن المسيح ظهرت على يديه معجزات كما ظهر لسائر المرسلين، ومعجزات بعضهم أعظم من معجزاته، ومع ذلك لم تكن المعجزات دليلاً على اتحاد اللاهوت بالنبي الذي ظهرت على يديه، فعلم أن الاستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد[(٢)].

عاشرا: قد يقول النصارى: نحن نقول بالاتحاد والحلول لأن المسيح عليه السلام قال: (أنا وأبي واحد، من رآني فقد رأى الأب) ونقول: ليس المراد ذات أحدهما اتحدت بذات الآخر..

بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد ويراد به معنى صحيح، كما يقال

---

(١) محمد فؤاد الهاشمي: سر إسلامي ص٥٢.
(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح (٢/٢٧٧).

فلان وفلان بينهما اتحاد إذا كانا متفقين فيما يحبان ويبغضان ويواليان ويعاديان فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان وبينهما اتحاد، ولا يعني بذلك أن ذات هذا اتحدت بذات الآخر، كاتحاد النار والحديد، والماء واللبن، والنفس والبدن.

وقد يقال فلان ما في قلبه إلا الله، وما عنده إلا الله يراد بذلك: ذكره ومعرفته وخشيته وطاعته وما يشبه ذلك، ويقال ما عنده إلا فلان إذا كان يلهج بذكره، ويفضله على غيره[1].

حادي عشر: يقال للنصارى إن ادعيتم ظهوره في عيسى كما ظهر في إبراهيم وموسى وغيرهما.. فهذا أمر مشترك بين المسيح وغيره، فلا اختصاص للمسيح بهذا.. وعندهم أن الله يحل في الصالحين، وهذا مذكور عندهم في بعض الكتب الإلهية كما في المزمور الرابع من الزبور ويقول داود عليه السلام في مناجاته ربه: (وليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد، ويبتهجون، وتحل فيهم ويفتخرون).

فأخبر أنه يحل في الصالحين المذكورين، فعلم أن هذا لا اختصاص للمسيح به، وليس المراد بهذا باتفاقهم واتفاق المسلمين أن ذات الله نفسه تتحد بالبشر، ويصير اللاهوت والناسوت كالنار والحديد، والماء واللبن، ونحو ذلك مما يمثلون به الاتحاد، بل هذا يراد به حلول الإيمان به ومعرفته، ومحبته وذكره وعبادته ونوره وهداه..

فالذين قالوا: إن المسيح أو غيره من البشر هو الله، أو أن الله حل فيه قد

---

(١) السابق (٢/٢٠٩).

يكـون غلطـتهم مـن هـذا الجـنس لمـا سمعـوا كلامـاً يقـتضي أن الله في ذات الشخص... وإنما المراد أن معرفة الله فيه.

ثاني عشر: يقولون: إن كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شئ تجسـدت بإنسان مخلوق، وهـو الذي أخـذ مـن مـريم واتحـدت الكلمـة بـه اتحـاداً بريئـاً مـن اختلاط أو تغير أو استحالة، وخاطب الناس... ففعـل المعجـز بلاهوتـه، وأظهـر العجز بناسوته والفعلان هما من المسيح الواحد..

والجواب عن ذلك: أن قولهم تجسـمت وتجسـدت يقـتضي أن الكلمـة صـارت جسداً وجسـماً بالإنسـان المخلـوق، وذلك يقـتضي انقلابهـا جسـداً وجسـماً، وهـذا يقتضي استحالتها وتغيرها، وهم قالوا: اتحاداً بريئاً من تغير واسـتحالة.

كـذلك قـولهم: إن الكلمـة اتحـدت بـه اتحـاداً بريئـاً مـن اخـتلاط أو تغـير أو استحالة، كلام متناقض أيضا، فإن الاتحاد أن يصير الإثنـان واحـداً، فيقـال قبـل الاتحاد كان اللاهوت جوهراً والناسوت جوهراً آخر.

وإن شئت قلت: كان هذا شيئاً وهذا شيئاً، أو هذا عينا قائمة بنفسها، وهذا عينـاً قائمـة بنفسـها، فبعـد الاتحـاد إمـا أن يكـونا اثـنين كـما كانا، أو صـارا الإثنـان واحدا، فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد، بل هما متعددان كما كانا متعـددين، وإن كانا قد صارا شيئاً واحداً، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم وهـذا عدم لأحدهما لا اتحاده، وإن كان هذا الذي صار واحداً ليس هو أحـدهما، فلابـد من تغيرهما واستحالتهما، وإلا فلـو كانا بعـد الاتحـاد اثـنين باقيـين بصفاتهما لم يكـن هناك اتحاد.

فإن قيل: اتحد اتحادا بريئاً من اختلاط أو تغير أو استحالة كان هذا كلاماً متناقضا، ينقض بعضه بعضاً، فإن هذا إنما يكون مع التعدد والمباينة، لا مع الاتحاد.

يوضح ذلك أنه إذا اتحد الماء واللبن، والماء والخمر، ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئاً ثالثاً ليس ماء محضاً ولا لبنا محضاً، بل هو نوع ثالث، وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول[1].

ويطيب لنا أن أختم حديثي عن التجسد.. بما قاله القس وهيب عطا الله معبرا عن حقيقة تلك العقيدة العجيبة فيقول: "إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ولكننا نصدق ونؤمن إن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً"[2].!!

وأعتقد أن هذا الاعتراف لعالم من علماء النصارى أبلغ من كل تعليق.

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٢٦٧).

(٢) طبيعة السيد المسيح ص١٨ (نقلا عن الدكتور/ أحمد شلبي: المسيحية ص١٣٩).

عقيـدة الصلـب والفـداء

أهمية الصليب عند المسيحيين:

تحمل علامة الصليب عند النصارى (+) أهمية قصوى منذ القرن الرابع المسيحي، فقد حكوا أن قسطنطين رأى وربما في المنام – في سنة ٣١٢م – في الأيام التي كان يحارب فيها أحد خصومه – في السماء رسم الصليب، ثم في سنة ٣٢٦م التقطت أمه "سانت هيلانة" في مكان صليباً، زعموا أنه هو الصليب الذي صلب عليه المسيح؛ ولذلك يحتفل المسيحيون في اليوم الثالث من شهر مايو كل عام، بعيد يسمونه "عيد اكتشاف الصليب" ومن هنا تحولت علامة الصليب شعاراً للمسيحية، وأضحى المسيحيون يستخدمون علامة الصليب في أكثر شئونهم.. يقول العالم المسيحي الشهير "ترتوليانوس" بمناسبة كل حل وترحال، وذهاب ومجئ، وخلع نعال، واغتسال وأكل، وإيقاد شمع، ونوم، وجلوس، وبالجملة بمناسبة كل حركة وسكون نصنع فوق حواجبنا علامة الصليب ومهما يكن من أمر فإن "وفاة عيسى على الصليب – حسب اعتقاد النصارى – هي عصب كل العقيدة المسيحية، إن كل النظريات المسيحية عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب، وكل النظريات المسيحية عن التاريخ، وعن الكنيسة، وعن الإيمان، وعن التطهر، وعن المستقبل وعن الأمل إنما تنبع من "المسيح المصلوب" فيما يقول البروفيسور جوردن مولتمان في كتابه عن "الإله المصلوب"[(١)].

---

(١) أحمد ديدات: مسألة صلب المسيح ص١٠.

وقد يقول قائل: ما السبب في كون الصليب مقدساً في المسيحية على حين أنه كان السبب في إصابة المسيح – فيما يعتقدون – بالأذى؟

وهو سؤال وجيه لم أطلع على إجابة عليه في كتابات علماء المسيحيين، بيد أن الذي يبدو للباحث أن قداسة الصليب عندهم مردها إلى "عقيدة الكفارة" أي أن الصليب كان سبباً – لديهم – في التكفير والعفو عن ذنوبهم، فلذلك يقدسونه.

عقيدة الكفارة

(كما يصورها علماء النصارى)

عقيدة الكفارة روح الديانة المسيحية، وجميع العقائد الأخرى كأنها مقدمة لهذه العقيدة.

فماذا يقول علماء النصارى عنها؟ وكيف يصورونها؟

تقوم عقيدة الكفارة على الأمور الآتية:

١- عندما خلق الله آدم عليه السلام وفر له كل أنواع الراحة، ولم يفرض عليه أي حد سوى أنه منع من تناول القمح، وقد تركت فيه قوة الإرادة في حرية كاملة، كان يمكنه معها التقيد بهذا النهي إذا شاء، كما كان بإمكانه أن يخالفه إذا شاء[١].

٢- إن آدم عليه السلام قد وضع هذه القوة الإرادية في غير موضعها، وارتكب ذنباً كبيراً عندما أكل من الشجرة الممنوعة، وإن كان هذا الذنب هينا بادئ ذي بدء، ولكنه كان شنيعاً للغاية في كيفيته وكميته على السواء.

بالنسبة إلى الكيفية لأن امتثال الأمر آنذاك كان سهلاً ميسوراً جدا لآدم، الذي منح حرية كاملة أن يأكل ما يشاء، وإنما وضع عليه حدٌّ واحد كان له أن يلتزم به في سهولة، أضف إلى ذلك أن الإنسان لم يكن يعرف آنذاك عواطف

---

(١) أوغسطينوس: في "مدينة الله" (The City of good) الكتاب ١٢، الباب ١١، ج٢، ص٢٥٥.

الهوس ونزعات الشهوة، التي تدفعه إلى اقتراف المأثم، فلم يكن صعباً عليه أن يتحاشى عن القمح، وبقدر ما كان امتثال الأمر سهلاً كان عصيانه شنيعاً، ثم إنه كان الذنب الأول من الإنسان الذي خلق "العصيان" لأول مرة مكان "الطاعة" ولم يأت الإنسان من قبل "عصياناً" وكما أن الطاعة رأس كل حسنة كذلك "العصيان" أساس كل خطيئة، وقد أقام ذنب آدم هذا "الأساس"[(١)].

وقد كان هذا الذنب شنيعاً جدًّا بالقياس إلى الكمية أيضاً؛ لأن هذا الذنب الواحد قد ضم ذنوباً كثيرة، فكان جماع الذنوب، يقول "سانت أوغسطينوس" وهو يفصل هذا الأمر:

"وكانت خطيئة الإنسان هذه شاملة لخطايا عديدة؛ لأنها كانت تتضمن – **أولاً** – الكبر، لأنه اختار أن يعيش محكوماً بسلطته بدل أن يعيش تحت ظل الحكم الإلهي، وكانت – **ثانياً** –كفراً وإساءة أدب نحو الله؛ لأن الإنسان لم يتيقن في الله، وكانت – **ثالثاً** – قتلاً؛ لأن الإنسان بحكم هذه الخطيئة وحدها جعل نفسه تستحق "الموت" وكانت – **رابعاً** – زنًا معنويًا، لأن إخلاص الروح الإنسانية، قد ضاع من أجل التصديق بقول الحية المعسول المضل، وكانت – **خامساً** – سرقة لأن الغذاء الذي كان محظورا عليه أن يمسه، قد تناوله، وكانت – **سادساً** – طمعاً؛ لأن الإنسان قد طمع في أكثر مما كان يكفيه، والحق أنك مهما أمعنت في حقيقة أي مآثم فستجد له انعكاساً في هذه الخطيئة الواحدة"[(٢)].

---

(١) المصدر نفسه، الكتاب ١٢، الباب ١٢، ج٢، ص٢٨٥.

(٢) Augustine, The Enchirdion ومعناها الكتاب المصنف XLV PP. 684 V.I

٣- وبما أن خطيئة آدم كانت شنيعة للغاية، فترتب عليها أثران: الأول أن آدم قد استحق جزاء على هذه الخطيئة "الموت" أو "العذاب الدائم"؛ لأن الله قال له وقد أراه الشجرة الممنوعة:

"لأنك يوم تأكل منها موتا تموت"[١]

والثاني: أن آدم سلب ما أعطي من الحرية الإرادية وقد كان وهب قدرة فعل المعروف والمنكر بإرادة واختيار منه، وبما أنه قد أخطأ بهذه القدرة موضعها فانتزعت منه، يقول "أوغسطينوس":

"لما أذنب الإنسان بقوته الإرادية الحرة، فبما أن الذنب قد تغلب عليه، فانتزعت منه حريته الإرادية، لأن المغلوب عبد من غلبه، كما يقضي به بطرس الرسول[٢] فلا يحظى بالحرية نحو عمل المعروف، حتى يتحرر من المنكر ويأخذ في العبودية للمعروف[٣]".

فكأنه مسلوب حرية الإرادة، ما لم يتخلص من مخالب ذنبه؛ لأنه الآن حرٌّ في إتيان الإثم، وليس حرًا في صنع المعروف.

٤- وبما أن جميع أفراد الإنسان الذين وجدوا من بعدها أو سيوجدون في المستقبل حتى يوم القيامة، إنما ولدوا من أصلابها فانتقلت هذه الخطيئة إلى جميع أفراد بني البشر، يقول "سانت أوغسطنيوس": "وكان الواقع أن

---

(١) سفر التكوين : ٢ : ٢.

(٢) إشارة إلى الرسالة الثانية لبطرس (٢ : ١٩).

(٣) XXXP. 675 VI ومثل ذلك قاله أوغسطينوس في The City of good ج٢، ص٢٥٥-٢٥٦.

جميع أفراد الإنسان الذين تلوثوا بالخطيئة الأصلية، وإنما ولدوا من آدم وتلك المرأة التي أوقعت آدم في الخطيئة، والتي شاركت آدم في نيل العقاب"(١).

إذاً فكل إنسان يولد ، من بطن أمه مذنباً؛ لأن خطيئة أبويها الأصلية متداخلة في طبيعته ومعجونة مع طينته، وهناك ينشأ السؤال: إن الذنب إنما أتاه الأبوان، فلماذا كان الأولاد مذنبين بذنبها؟ يرد على السؤال "جان كالوين" أحد زعماء البروتستانتية قائلاً:

"حينما يقال إننا استحققنا العقاب الإلهي من أجل خطيئة آدم، فليس يعني ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء، وقد حملنا – ظلماً – ذنب آدم... الحقيقة أننا لم نتوارث من آدم "العقاب" فقط، بل الحق أن وباء الخطيئة مستقر في أعماقنا، تلك الخطيئة التي تعدت إلينا من آدم، والتي من أجلها قد استحققنا العقاب على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقاً للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو، وليس من ذنب أحد غيره"(٢).

ويوضح ذلك العامل والفيلسوف الكاثوليكي المعروف "تهامس أكونياس" بمثال آخر، فيقول:

"من أجل ما أذنب أبوانا انتقلت "الخطيئة الأصلية" إلى أولادهما، ومثل ذلك أن الذنب في الواقع تقترفه الروح، ولكنه بالتالي ينتقل إلى أعضاء وجوارح في الجسم"(٣).

---

(١) Auguative, The Enchridion XXVI Enc. Britannica P. 633 V.4 Calvin. P. 673. VI (في كتابه: البحث الشامل في اللاهوت).

(٢) Calvin, Instil bk. II. Ch. Sec. 8.

(٣) The Summa Theolgica Q 81. Alt 3. p. 669.

٥- بما أن الناس جميعا، قد تلوثوا "بالخطيئة الأصلية" و"الخطيئة الأصلية" هي التي كانت رأس الخطايا والذنوب الأخرى؛ فإنهم حرموا الحرية الإرادية حرمان أبويهما منها، وتلوث هذا الإنسان بالذنب، حتى أثقل بالإضافة إلى "الخطيئة الأصلية" بحمل خطايا أخرى أتاها بنفسه بفعل الخطيئة الأصلية"[١].

٦- بالخطايا والذنوب المشار إليها، كان جميع بني آدم مستحقين للعذاب الدائم كأبويهم، هذا من جانب وفي جانب آخر حرموا حريتهم الإرادية، فلم يعد هناك سبيل إلى نجاتهم ومغفرتهم؛ لأن الخلاص من هذه الذنوب كانت كامنة في فعل الحسنات، إلا أنهم كانوا عاجزين –بفقدهم حريتهم الإرادية والاختيار عن صنع الخيرات التي تخلصهم من العذاب"[٢].

٧- وكان هناك سبيل لتخلص الإنسان "هذه المصيبة" وهو أن يرحمه الله بنفسه ويغفره، ولكنه لم يعد بالإمكان؛ لأن الله "عادل" و"منصف" ولا يخرج على قوانينه المحكمة غير القابلة للتغير، وقد سبق محالا على سفر "التكوين" فلو غفر للإنسان بدون أن يوقع عليه عقوبة "الموت" لكان ذلك متنافياً مع عدله[٣].

٨- ثم إن الله "رحيم" ولم يكن ليترك عباده على هذه الحالة النفسية

---

(١) Augustive, The Encchridion XXVII p.

(٢) المصدر نفسه، الباب ٣٠، ص٥، ٦،ج١.

(٣) راجع الموسوعة البريطانية ج٢، ص٦٥١، مقالة "الكفارة".

البائسة، فاتخذ حيلة تتم بها الرحمة عليهم، ولا تمس قانون عدله وعلى ذلك لم يكن هناك سبيل لتخلص العباد إلا أن يموتوا موتة على سبيل العقوبة، ثم يحيوا من جديد، حتى تعود إليهم حريتهم الإرادية في هذه الحياة الثانية، التي كانوا قد فقدوها فيما قبل الموت من أجل "ذنبهم الأصلي" حتى يستريحوا من ثقل "الخطيئة الأصلية" ويفعلوا الخيرات في حرية تامة[١].

٩- غير أن إماتة الناس جميعاً ثم بعثهم كانا يتنافيان مع قانون الطبيعة وسنة الكون، فكانت الحاجة ماسة إلى أن يتحمل ذنوب جميع الناس شخص معصوم من "الذنب الأصلي" ويعاقبه الله بموته ثم يبعثه، وتكون هذه العقوبة كافية عن جميع أفراد البشر، ثم يتخلص جميع بني البشر.

وقد اختار الله لهذا الغرض العظيم "ابنه" وبعثه إلى الدنيا في الجسم الإنساني، فقام بتقديم هذه التضحية، ومات على الصليب، وكان موته كفارة عن الناس جميعا[٢]. وبذلك لم يغفر الله للإنسان "خطيئته الأصلية" فقط وإنما غفر له جميع الذنوب التي ارتكبها بفعل "الذنب الأصلي"[٣] ثم إن هذا الابن قد قام من قبره بعد ثلاثة أيام، فحصلت بذلك حياة جديدة للإنسان أجمع، وعاد الإنسان يملك حرية الإرادة في هذه الحياة الثانية الجديدة، فإذا استخدمها في الحسنات فيستحق الأجر والثواب، وإذا وضعها في السيئات فسيستوجب العذاب بقدر نوعية السيئات التي ارتكبها[٤].

---

(١) أوغسطينوس (The City of good) ج٢، الكتاب ١٤، الباب ١١، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) The Enchridion L.P. 687. V.I.

(٤) I did. 60 ch Lii p. 688 V.I.

١٠- لكن قربان "يسوع المسيح" هذا إنما هو لمن يؤمن به ويأخذ بتعاليمه، وعلامة هذا الإيمان هي القيام بأداء طقس "المعمودية" فإن "المعمودية" تعني أن القائم بها "المتعمد" يؤمن بكفارة يسوع المسيح، فيقوم إتيانه "بالتعمد" عن واسطة يسوع المسيح مقام موته وحياته الثانية؛ ولذلك فالذي "يتعمد" يغفر له "ذنبه الأصلي" ويمنح حرية الإرادة من جديد،والذي لا يؤدي طقس "المعمودية" يظل "ذنبه الأصلي" باقياً، مما يجعله مستحقا للعذاب الدائم، ولذلك يقول "أكويناس": "الصغار الذين ماتوا قبل "التعميد فيما أن "الذنب الأصلي" لا يزال فيهم؛ فإنهم سوف لا يتمتعون برؤية ملكوت الرب"[١].

١١- والذين ماتوا فيما قبل مقدم المسيح عليه السلام سيستعرضون: هل كانوا يؤمنون بيسوع المسيح أم لا؟ فإن كانوا يؤمنون، فسيكون موت يسوع المسيح كفارة لهم كذلك،وسينجون، وإلا فلا[٢].

١٢- الذين آمنوا بيسوع المسيح، وقاموا "بالتعمد" فليس معنى كون المسيح كفارة لهم، أنهم مهما يأتون من الذنوب والخطايا، فإنهم لا يؤاخذون ولا يعاقبون، وإنما يعني ذلك أنه قد غفرت لهم "خطيئتهم الأصلية" التي كانت تقضي بعذابهم الدائم، وأمحت مع ذلك ذنوبهم التي أورثتها "الخطيئة

---

(١) Aqyinas. The summa theological 875 p. 714 V.I.

(٢) Augustine. On Original Sin, Ch. XXXI p. 641. V.I. (اغسطين: حول الخطيئة الأصلية).

الأصلية" لكنهم الآن عادوا يتمتعون بحياة جديدة، ويملكون حرية الإرادة في هذه الحياة الجديدة، فإذا ما أخطأوا بها مواضع الاستخدام، فسينالون العقاب الذي تقتضيه نوعية الإثم، وإذا ما أتوا بعد "التعمد" ذنباً يخرج بهم عن حظيرة الإيمان، فسيعودون مستحقين للعذاب الدائم، ولا تغني عنهم كفارة يسوع المسيح، إذاً فالذين تخرجهم الكنيسة من الجماعة من أجل "النفاق" أو "البدع" يستحقون العذاب الدائم[1]، وإذا أتوا صغيرة من الصغائر، فإنهم يدخلون لوقت محدد في ذلك الجزء من جهنم الذي أعد لتطهير المؤمنين من الذنوب والخطايا،والذي يسمى "بالمطهر" وبعدها ينقضي الوقت المحدود يدخلون الجنة.

مناقشة هادئة لعقيدة الصلب والفداء :

أولاً: تقرر معظم الفرق المسيحية أن عملية الصلب لم تتم على أقنوم الابن الذي هو إله عندهم، وإنما تمت هذه العملية على المظهر الإنساني لأقنوم الابن، وهو المسيح عليه السلام، الذي ليس إلها عندهم في حقيقته الإنسانية،وإنما هو مخلوق[2].

وبعبارة أخرى: أن الذي صلب ناسوته دون لاهوته.

وهذا كلام يمكن الرد عليه من وجهين:

أولهما: أن القول بأن الصلب وقع على الناسوت دون اللاهوت دعوى مجردة لم يقم عليها دليل فيكفي في مقابلتها المنع.

---

(١) The Ench. Ch. Lxix p. 699 V.I.

(٢) انظر: ما هي النصرانية ص٧٣.

ثانيهما: إنهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت يشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن، وهذا تشبيه اليعقوبية (الأرثوذكس) وتارة باتحاد النار بالحديد أو النفس بالجسم، وهذا تشبيه الملكانية (الكاثوليك) وغيرهم. ومعلوم أنه لا يصل إلى الماء إلا ما وصل إلى اللبن، فإنه لا يتميز أحدهما عن الآخر، وكذلك النار التي في الحديد متى طرق الحديد أو وضع عليه ماء لحق ذلك بالنار التي فيه، والبدن إذا ضرب وعذب لحق ألم الضرب والعذاب للنفس فكأن حقيقة تمثيلهم يقتضي أن اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت من إهانة اليهود وتعذيبهم وإتلافهم له والصلب الذي ادعوه.

وهذا لازم على القول بالاتحاد، فإن الاتحاد لو كان ما يصيب أحدهما لا يشركه الآخر فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد[1].

نقول لهم: آدم عليه السلام تاب وأناب أم لا؟ فإن قالوا نعم بطل القول بالصلب، فإنهم يقولون إن سر الصلب محو خطيئة آدم عليه السلام، وأن الله تعالى فداه بابنه، كما فدا إسماعيل بالكبش، وإن قالوا لا كذبتهم كتبهم، فإنها كلها مصرحة بتوبة آدم عليه السلام، والتوبة تنفي الحوبة، فلا معنى لعقوبة الولد، ثم الفداء بهابيل أولى؛ لأنه ولد الصلب، وفداء البشر بالبشر الصرف أولى من الفداء ببشر هو إله قديم[2].

ثانياً: القول بأن قتل المسيح مصلوباً فيه كفارة للذنب الأصلي الذي صدر

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٢/٢٩٧).

(٢) القرافي: الأجوبة الفاخرة ص٢٩٩ (بتلخيص).

عن آدم عليه السلام غير معقول لأنه يجوز أن يعاقب الأولاد على ذنوب الآباء –كما لا يجوز عكس ذلك – لأنه خلاف العدل.. ويرده كتاب حزقيال الذي ورد فيه: (النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن بر البار يكون عليه وشر الشرير يكون عليه)[1].

ثالثاً : عقيدة الصلب والفداء تستلزم أن الله سبحانه وتعالى عن ذلك – ما كان يعلم حين عصى آدم ما يقتضيه العدل والرحمة، وما كان يدري كيف يوفق بينهما منذ آلاف السنين حتى اهتدى إلى ذلك في عهد المسيح عليه السلام[2].

رابعاً : يدعي النصارى – في تلك القضية – أن العفو والمغفرة مما ينافي العدل.. وهذا قول مردود؛ لأن العفو عن المسئ من أعظم الفضائل وأكرمها، وما رأينا أحداً من العقلاء يقول: إن عفو الإنسان عمن أخطأ في حقه، أو عفو السيد عن عبده الذي يعصيه ينافي العدل والكمال[3]، وإلا فكيف تدعو المسيحية إلى ذلك حين يقول الإنجيل: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى من أساء إليكم. أليس هذا من قبيل العفو فهل يعاب على من يفعل ذلك؟

خامساً : ليس من العدل عندهم أن يعاقب الأبناء في الآخرة على ما ارتكبه أبوهم.

وليس من العدل أن يترك المسئ (وهو آدم) ويعاقب المسيح – وهو برئ – على ذنبه، وبدون رغبته وإرادته كما هو ظاهر من عبارات الأناجيل في

---

(١) حزقيال ١٨ : ٢٠.
(٢) انظر: تفسير المنار ٦/٢٢.
(٣) انظر: تفسير المنار ٦/٢٢.

وصف حالته قبل الصلب وحزنه واكتئابه وكثرة تضجره وصلواته كقوله لربه (إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس) وقوله وهو مصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني)؟

فإن كان المسيح باعتبار ناسوته -كما يعبرون - غير راض بالصلب كما يظهر من هذه العبارات فهل من العدل أن يحمل ذنب غيره ويصلب بسببه رغم إرادته ؟[1]

سادساً : القائلون بصلب المسيح أرادوا أن يفروا من تناقض موهوم بين عدل الله ورحمته فوقعوا فيما هو شر منه وهو نسبة الظلم إلى الله تعالى في مؤاخذة بني آدم بذنب أبيهم وفي مجازاة المسيح بغير رضاه بدلا عنهم[2].

سابعاً : ورد في إنجيل يوحنا أن المسيح أخبر تلاميذه بأنه تأتي ساعة يتفرقون عنه ويبقى وحده ولكن الله يكون معه، وفي هذا المعنى يقول متى أيضا (٢٦ : ٥٦ حينئذٍ تركه التلاميذ كلهُم وهربوا) وقول مرقس (١٤ : ٥٠ فتركه الجميع وهربوا) فهذا نص في أن التلاميذ كلهم هربوا حين جاء الجند ليقبضوا على المسيح، فلم يكن الذين يعرفونه حق المعرفة هنالك.

ثامناً : إلقاء شبه المسيح عليه السلام على غيره من خوارق العادات التي أيد الله بها نبي الله عيسى بن مريم؛ لينقذه من أعدائه فخرج من بينهم وهم لا يشعرون.

---

(١) انظر: د/ محمد توفيق صدقي: دين الله في كتب أنبيائه، الطبعة الأولى بمطبعة المنار ١٣٣٠/١٩١٢م ص١٠ وما بعدها. وانظر أيضا: ما هي النصرانية ص٩٠ (هامش).

(٢) الموضوع السابق.

والذي يقرأ كتب النصارى المقدسة يرى فيها نصوصاً تؤيد نجاته،وإلقاء شبهه على غيره، من ذلك قوله لهم: إنهم يشكون فيه يومئذٍ، ومن ذلك – أيضاً – أنه يتشكل بغير شكله. كما ورد في الأناجيل أنه طلب من الله أن يعبر عنه هذه الكأس _ أي قتله وصلبه – إن أمكن.

تاسعاً : لئن كانت "الخطيئة الأصلية" انتقلت إلى كل من بني آدم مركبة من طينته، فلماذا لم تنتقل إلى شخص سيدنا عيسى عليه السلام الإنساني؟ على حين أنه قد ولد – كجميع الناس من بطن مريم رضي الله عنها، وكان – كما تقرره العقائد المسيحية – إنساناً بجانب كونه إلهاً، وإنما صلب من حيث كونه إنساناً[1].

عاشراً : يقولون: إن الله عادل، فلا يغفر الذنوب والآثام بدون أن يعاقب، ولكن هل يقضي الإنصاف بأن لا يعاقب الإنسان فقط بالعذاب الدائم على ذنب لم يكن له فيه خيار، بل وتنتزع منه حريته؟!![2]

حادي عشر : يقولون: إن الله لا يغفر "الذنب الأصلي" بمجرد التوبة، وقد جاء في العهد القديم: "فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وفعل حقاً وعدلاً، فحياة يحيا، لا يموت"[3].

ثاني عشر : لئن كانت هذه العقيدة صحيحة، فلماذا لم يبينها سيدنا عيسى عليه السلام في صريح العبارة وواضح القول؟ وليس في الأناجيل عبارة يمكن استنباط هذه العقيدة منها[4].

(١) ما هي النصرانية ص٨٩ (هامش).
(٢) ما هي النصرانية ص٩٠ (هامش).
(٣) حزقيال (١٨ : ٢١).
(٤) الموضع السابق.

ثالث عشر: كيف تقولون: المسيح صلب والمسيح عندكم – الكاثوليك – من طبيعة إلهية وطبيعة ناسوتية، ثم يقولون اللاهوت لا تؤثر فيه الآلام. فإن لم يكن اللاهوت صلب لا يصح أن يقال المسيح صلب بل بعض المسيح[1].

إن مستند النصارى في قولهم بالصلب: إنما هو الإنجيل وقد بينا فيما تقدم: أنه قابل للتحريف والتبديل، وقد أرينا فيه التناقض والتحريف عياناً، وأوضحنا على ذلك برهاناً، مع ما قدمنا في كتبنا الأخرى من أن نقله ليس نقلاً متواتراً يفيد العلم، بل إنما نقله من باب أخبار الآحاد، التي لا يحصل بها العلم وهذا يكفي، ولو سلمنا أنه متواتر، يحصل بنقله العلم. لقلنا: إن الأخبار التي فيه التي تتضمن الصلب لا تنص نصية قاطعة للشك: على أن المصلوب هو المسيح بعينه، بل هي محتملة، لأن المصلوب غيره، ولم تتفطن النصارى لوجوه الاحتمال، ونحن نسرد نصوصهم في أناجيلهم، ونبين ذلك، ووجه الاحتمالات فيها وذلك كما يلي:

"وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو أمسكوه ، فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدي وقبله، فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت، حينئذٍ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه"[2].

---

(١)الشيخ عفيف بن مومل : رسالة لاهوتية تاريخية على مذاهب النصارى بمجلة المشرق (٢٠) لسنة ١٩٢٢م ص٩٢٠ وما بعدها. (وهذا الاعتراض يلزم طائفة الكاثوليك).

(٢) متى (٢٦ : ٤٧-٥٠).

زاد مرقس (٤١ : ٥٠-٥١): "فتركه الجميع وهربوا – أي لما قبضوا على المسيح – وتبعه شاب لابساً إزاراً على عريه فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عرياناً".

زاد لوقا (٣٢ : ٦-٧): "فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي، وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس".

زاد في إنجيل يوحنا (١٨ : ٤-٨): "فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفاً معهم، فلما قال لهم إني أنا هو ورجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضا من تطلبون؛ فقالوا يسوع: الناصري. أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو. فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون".

وذكر متى (٢٧ : ٣-٥): "حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً، فقالوا ماذا علينا؛ أنت أبصر، فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه".

هذه نصوص أناجيلهم ومستند اعتقادهم ليس شئ منها يدل دلالة قاطعة على أن المصلوب هو المسيح بعينه، بل إذا اعتبر العاقل تلك الحكايات المذكورات، وحقق النظر فيها تفطن لموضع الإشكال، وتنبه لمثار الشك فيها والاحتمال.

وعندما نتأمل النصوص السابقة ندرك فيها الاحتمالات التالية:

(أ) أن يهوذا كذب على اليهود في قوله: "هوذا" فإن اليهود كانت

لا تعرفه، ولم تأخذه إلا بشهادته: أنه هو، ألا ترى أن يهوذا عرفهم إياه بالعلامة.

وكذلك يدل على ذلك سؤالهم عنه، وكذلك سؤال بيلاطس عن بلده "هل الرجل جليلي" يدل على أنه كان لا يعرفه.

فهذا كله يدل على أنهم كانوا لا يعرفونه، وإنما عولوا في تعيينه لهم على يهوذا، فإذا ثبت ذلك فيحتمل أن يكون يهوذا إنما أشار إلى غيره؛ لأنه كان ندم على بيعه، كما تقدم نصه في أناجيلكم.

ويدل على أنه تاب من ذلك، وندم عليه، وحسنت توبته قول عيسى له فيما زعمتم، حين سلم عليه: "يا صاحب لماذا جئت"، ولو كان مصرًّا على الدلّ عليه، وعلى ما كان همّ به، لما كان يحل لعيسى أن يقول له "يا صاحب" فإنه كان يكون كافرا ولا يمكن أن يقول للكافر "يا صاحب" فإنه كذب؛ لأن الكافر عدو، فيلزم هنا **أحد ثلاثة أمور:**

إما يكون يهوذا تاب في ذلك الوقت وندم على ما فرط منه، فعفى عنه، وتوبته لا تصح في تلك الحال، أعني: حال الدلالة عليه، إلا بأن يعدل عنه، ولا يدل عليه، وكذلك فعل.

أو يكون عيسى كاذبا فيما قال له، حيث أخبر أنه "صاحب" وعيسى عليه السلام منزه عن الكذب أو يكون كتابكم باطلاً ومحرفاً.

فاختاروا من هذه الثلاثة واحدة، وأي شئ التزمتم منها، فهي مبطلة لقولكم.

ويدل على حسن توبته وصدقها: أنه رمى بالدراهم، واعترف بالخطيئة، وقتل نفسه، وهذا يدل على غاية الصدق في الندم.

ومهما يكن من أمر، فسياق نصوص الأناجيل يدل على أن يهوذا ندم ولابد، على ما فرط منه، فيحتمل أن يكون دل على غيره من أصحابه، وأن ذلك الغير، رضي بأن يقتل مكان المسيح، فتعرض بنفسه لليهود فأخذوه، ورفع عيسى مكانه إلى السماء.

خصوصا وأنتم تقولون: إنه لما صلب وحيي اجتمع بأصحابه رفع إلى السماء.

إذن فقد توافقنا على الرفع، غير أنكم تقولون إنه بعد الصلب والصفع والإهانة، ونحن – معشر المسلمين – نجلُّ عيسى ونكرمه عن ذلك، ونقول: إنه رفع من غير صلب وإهانة، بل صانه الله من أن يظفر به عدواً، وأكرمه حتى أحله مكاناً عليا. ولو كنتم عقلاء لجحدتم أمر الصلب ولم تعترفوا به، ولقبلتم قولنا فيه، ولو نعلتم ذلك لكان أليقَ بكم، وأستر لكم، فإنكم تريدون أن تجمعوا بين نقيضين حيث حكمتم عليه بأمرين محالين: إلهية، وصلب!!

يقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

جعل لهم عذراً في أن يقولوا: صلب أو قتل، وكان عليهم أن يتلمسوا في الإسلام حلاً لهذه المشكلة، فجاء الإسلام ليقول (وما قتلوه وما صلبوه).

وذلك لأن الصلب فيه قدرة من الصالب على المصلوب، فكيف ينقلب الإله مقدوراً عليه من مخلوق؟

حين نقول: إنه لم يصلب فإننا نكرمه ونجلهُّ، فالإسلام جاء ليصفي هذه العقائد كلها، عند الناس الذين حرفوها[1].

(١) الشيخ محمد متولي الشعراوي: مريم والمسيح ص٨٠ (مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة).

(ب) ويحتمل أيضاً – من خلال تأمل نصوص الأناجيل أن يكون المسيح في الجماعة الذين أطلق أعوان الحاكم سبيلهم، وكان المتكلم معهم غيره، ممن يريد أن يبيع نفسه من الله، ويقي المسيح به.

فقال ذلك المتكلم: أنا المسيح، فحبسوه، وخلوا سبيل غيره، فانفلت المسيح في جملتهم، ويقوي هذا الاحتمال: أن يهوذا كان واقفاً ناحية، ولم ينبه عليه؛ لكونه كان نادماً لما قد تبين، وبعد ذلك رفع.

(ج) ومنها أن أولئك الأعوان أخذوا عليه رشوة، فأطلقوه، وعلى هذا يدل حديث رداء الشاب، الذى قال "مرقس" عنه: "فترك الإزار وهرب منهم عرياناً"[1] وإذا جاز أن يأخذ يهوذا الإسخريوطي وهو حواريه على قتله ثلاثين درهماً، جاز أن يأخذ الأعوان على إطلاقه: رداء.

(د) ومنها، أنه لا يبعد أن يكون الله تعالى رفع المسيح إلى السماء، وصور لهم شيطاناً أو غيره بصورة تشبه صورته، فاعتقدوا أنه هو فصلبوه، وإلى هذا يشير سكوته، حيث سألوه فسكت ولم يجاوبهم، وفي الوقت الذي تكلم لهم نزلت تلك الصورة نفسها منزلته، وهذا كله ممكن، لا يدفعه عقل، فإن الله على كل شئ قدير، ولا يدفعه أيضا نقل.

فإن كل ما نقوله ليس نصًّا قاطعاً، ولا نقل نقلاً متواتراً، فحصل من هذا: أنكم غير عالمين بصلبه ولا موقنين بقتله[2].

---

(١) مرقس (١٤ : ٥٢).

(٢) انظر القرطبي: الإعلام ص٤١٢-٤١٦ وانظر – أيضاً – أبي عبيدة الخزرجي: بين الإسلام والمسيحية ص١٩٢ وما بعدها.

رابع عشر: نقول للنصارى: هل المسيح اختار الصلب أم لا؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: كيف ذلك وهو القائل: "يا أبت إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس فافعل"؟ فهذا دليل على أنه لم يحب الصلب، ولو صح أن المسيح اختار الصلب ورضي به لكان اليهود غير مخطئين فيما فعلوا؛، لأنهم فعلوا إرادته. فما بالكم تنسبون إليهم قبح هذا الفعل وتؤنبوهم؟

وإن قالوا: إن المسيح لم يرد الصلب. قلنا: إذا لا يستحق أن يكون إلهاً، لأنه قد فعل به ما لا يختار..!

خامس عشر: حقيقة عدم صلب المسيح ورفعه إلى السماء التي قررها القرآن الكريم تتضح مع تقدم المعلومات البشرية.

في مطلع القرن الثامن عشر عثر على نسخة إنجيل (برنابا) الذي بين فيه (برنابا) صراحة أن عيسى عليه السلام لم يصلب وإنما صلب مكانه (يهوذا الإسخريوطي) وقد ظل السادة المسيحيون يزعمون أن هذا الإنجيل من تأليف مسلم، غير أنه اكتشفت في الأيام الأخيرة نسخة للإنجيل معزوة إلى (بطرس) جاء فيها التصريح بأن المسيح عليه السلام رفع إلى السماء قبيل إجراء عملية الصلب، وقد نقل مقالة إنجيل (بطرس) هذه (بلمان استراتر) في كتابه الشهير (الأناجيل الأربعة) ص٥، ط/ ماك ملن نيويورك ١٩٦١م - وإن كان (استراتر) أوله بأن المراد من المسيح هنا شخصيته الإلهية؛ ولكنه ليس هناك دليل على ذلك في ألفاظ (بطرس) وإنما هناك ما يدل على خلافه، حيث جاءت لبيان الرفع إلى السماء الصيغة المبينة للمفعول (Passive voice) وإن استراتر

نفسه نقل الكلمات الآتية (He was taken off). بما يدل على أن رافعه كان غيره، ومن الواضح أنه لو كان المراد منه الله لقيل إنه ارتفع إلى السماء، أو صعد في السماء لأن الله لا يمكن أن يرفعه أحد[1].

سادس عشر: الذي يتدبر رواية الأناجيل لقضية الصلب يجد فيها ما يشير إلى عدم صلب المسيح عليه السلام، من ذلك أن المسيح خرج مع تلاميذه إلى جبل الزيتون فقال لهم: "كلكم تشكون فيّ هذه الليلة؛ لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية"[2] ألا يدل هذا على أن قضية الصلب تقوم على الشك والظن وعدم اليقين؟

كذلك ورد في إنجيل متى أن المسيح قال لتلاميذه: "اجلسوا هاهنا حتى أمضي وأصلي هناك ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا هنا واسهروا معي ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت، ثم جاء التلاميذ – فوجدهم نياماً فقال لبطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة اسهروا وصلوًا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا: يا أبتاه إن لم يكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك، ثم جاء فوجدهم نياماً، إذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك

(١) ما هي النصرانية ص٧٣-٧٤ هامش.
(٢) متى ٢٦ : ٣١.

الكلام بعينه، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة قوموا تنطلق هوذا الذي يسلمني قد اقترب"[1].

ونأخذ من هذا النص ما يلي:

(أ) حالة الحزن والخوف التي كان عليها المسيح قبل أن يقبض عليه يدل على ذلك قوله: "وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت"، ويظهر ذلك – أيضا – في كثرة صلاته وتضرعه إلى الله سبحانه أن تعبر عنه كأس المنية.

(ب) نوم التلاميذ في تلك الساعة (الخطيرة) – والنائم لا يدري عما يدور حوله شيئاً – وقد وضح النص كيف ثقلت أعينهم بالنوم ولم يتمكنوا من السهر معه حتى قال لهم عتاباً وألماً: "أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة"؟! ثم أمرهم (عليه السلام) بالسهر والصلاة، غير أن ثقل النوم الذي سيطر عليهم لم يجد معه رغبة أو إلحاح!! فلما يئس المسيح من يقظة التلاميذ قال: "ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة".

(ج) نأخذ من هذا النص – أيضاً – عبودية المسيح لله سبحانه وتعالى فهو يصلي ويدعو ويتضرع إلى ربه أن تعبر عنه كأس النية، ولا يعقل أن الإله يناجي نفسه ويدعو نفسه.. كما يعلم من النص – بوضوح – أن إرادة

---

(١) متى ٢٦ : ٣٦-٤٥.

المسيح ومشيئته غير إرادة الله سبحانه، اقرأ قوله: "ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"..

(د) من الأمور الهامة في النص قول المسيح لتلاميذه: "كلكم تشكون فيّ هذه الليلة"!! والشك معناه عدم المعرفة اليقينية بما يحدث له عليه الصلاة والسلام والتباس الأمر عليهم، وقد وضح مصداق قول المسيح عندما أُلقي شبهه على غيره ولم يدر التلاميذ شيئًا لثقل أعينهم فظنوا أنه هو الذي أخذ، وقد أخذ شخص آخر يشبهه، وهذا ما يقرره القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ (كما صرحت بذلك الأناجيل على لسان المسيح) ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾[1].

سابع عشر: لغرابة هذه القضية وبعدها عن المنطق، تعرضت لكثير من الجدل والنقاش على مر العصور، ولذلك يقول عوض سمعان: "ليست هناك قضية ناقشها التاريخ وبحثها الأجيال مثل قضية صلب المسيح فهي القضية المطروحة على الجنس البشري ما يقرب من ألفي عام وقال فيها كثيرون منذ ذلك العهد ما قالوا"[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن صلب المسيح كان موضع إنكار ورفض من بعض

---

(١) سورة النساء : ١٥٧-١٥٨.

(٢) قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة ص٣، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ١٩٧٣ (نقلا عن الذات الإلهية ص١٨٤-١٨٥).

الفرق المسيحية في القرون الأولى من ذلك فرقة الدوسيت المسيحية التي أنكر فريق منها كون المسيح قد صلب، ورأى أن شخصا آخر صلب مكانه، وأنه رفع حيا إلى السماء.

وقد قرر هذا الأب فرنسيس قريبه بقوله:

"أما تفسير الدوسيت فكان يضرب في الخيال: فقد زعم البعض منهم أن سمعان القيرواني هو الذي صلب عوضا عن المسيح الذي رفع إلى السماء"[1].

ومما يؤيد أن قضية الصلب لم يكن مجمعاً عليها بين فرق النصارى في القرون الأولى ما أورده الأستاذ رشيد رضا بقوله: "فقد أنكر الصلب منهم فرقة السيرتيثين والتاتيانوسيين، أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد وقال إنه قرأ كتاباً يسمى رحلة الرسل، فيه أخبار بطرس ويوحنا وأندراوس وتوما، وبولس، ومما قرأ فيه: "أن المسيح لم يصلب ولكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه"[2].

ويقول صاحب الرسالة إلى العبرانيين متحدثا عن المسيح: "الذي في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه"[3].

أليس في هذا الكلام دليل على أن الله نجى المسيح وخلصه من الموت بعد تضرع لخالقه فسمع دعائه ورحم دموعه من أجل تقواه؟؟

---

(١) التجسد ص٣٠.
(٢) تفسير المنار ٦/٣٤-٣٥.
(٣) عبرانيين ٥ : ٧.

وربما يكون أول من أنكر هذه العقيدة: "كوائيليس شيس" الذي كانت آراؤه كما يقول "أغسطينوس" كما يلي: "ذنب آدم لم يضر إلا آدم، ولم يكن له تأثير على بني النوع البشري، والأطفال الرضعاء حين تضعهم أمهاتهم يكونون كما كان آدم فيما قبل أن يذهب"[1].

غير أن هذه النظريات قد اعتبرها المجمع الذي عقده الأساقفة في "قرطاجا" "مبتدعة" ورغم ذلك فقد أنكر هذه العقيدة أناس تحدثت عنهم دائرة المعارف البريطانية في مقالة "الكفارة"[2].

ومما يؤكد أيضا اختلاف طوائف النصارى حول قضية الصلب في الأجيال الأولى ما نقله الشيخ محمد جمال الدين القاسمي نقلا عن كتاب السيوف البتارة حيث قال:

"يعلم الواقف على حقائق التاريخ أن مسألة الصلب من أهم المسائل التي ولدت الشقاق والنفرة فيما بين النصارى عموماً ونصارى مصر والشام [في الأجيال الأولى قبل الإسلام] خصوصاً فإنهم كانوا غالباً يرفضون حصول الصلب رفضاً باتاً، لأن بعضهم كان يعتبره إهانة لشرف المسيح، ونقصاً فاضحاً، والبعض الآخر كان يجحده استناداً على الأدلة التاريخية. وهؤلاء الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منها الساطرنيوسيوس[3]، والمركيونيون[4]، والبارديسيانيون والتاتيانيسيون،

---

(١) Augustine on original Sin, ch 621 : 11 p.v.i.

(٢) ما هي النصرانية ص٩٠.

(٣) في الفارق : (الساطرينوسيون) ص٢٨١.

(٤) في الفارق : (والكاربوكراتيون)

والكاربوكراتيوس[(١)]، والمانيسيون، والبارسكاليولينون[(٢)]، والبوليسيون. إذاً كلهم اعتقدوا مع كثيرين غيرهم بأنه لا يمكنهم أن يسلموا بنوع من الأنواع أن المسيح سحر فعلاً، أو مات على الصليب حقيقة حتى استخفوا بالصليب والصلب"[(٣)].

وقال المسيو ادوارسيوس الشهير الفرنسي أحد الأعضاء الانستيتودي فرنسي في باريس قوله في صفحة ٤٩ من كتابه: (عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية): "إن هذا القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول: بأنه أُلقِي شبهه على غيره، فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه، وأن ما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية منهم الباسيليديون، كانوا يعتقدون بغاية السخافة أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب، ألقى شبهه على سيمون السيرناي تماماً، وألقى شبه سيمون عليه، ثم أخفى نفسه ليضحك استهزاءً على مضطهديه اليهود الغالطين، ومنهم السيرنثيون، فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل من كتاب الحواريين، وإذا كلامه نفس كلام الباسيليديين، وقد صرح إنجيل القديس برنابا باسم الذي صلب بدل عيسى فقال: إنه يهوذا"[(٤)].

ونقل عن المؤرخ المسيو شار بيكار قوله: "إن مسألة صلب المسيح كلها مبتكرة مخترعة لاغير"[(٥)] كما نقل عن المؤرخ المسيو أرنست دي يونس الألماني قوله في كتابه "النصرانية الحقة" ص١٤٢، إن جميع ما يختص بمسائل الصلب

---

(١) في الفارق : (والمركونيون)

(٢) في الفارق : (والبارسكاليونيون)

(٣) والفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨٠، وانظر: تفسير القاسمي ٥/١٦٩١-١٦٩٢.

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨١ وانظر: تفسير القاسمي ٥/١٦٩٢.

(٥) السابق ٥/١٦٩٦.

والفداء، هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه،من الذين لم يروا المسيح (عليه الصلاة والسلام) لا من أصول النصرانية الأصلية"[1].

وكانت آخر فرقة تنكر صلب المسيح طائفة البوجوميل المسيحية التي أطلق المسيحيون عليها اسم الخوارج.

وكانت منتشرة في مملكة البوسنة[2] في القرن الثالث عشر الميلادي وقد تعرضوا من أجل معتقدهم هذا لكثير من الامتحان من قبل الكاثوليك الرومان الذين شنوا عليهم حرباً مقدسة في سنة ١٢٢١م بأمر من البابا هتوريوس الثالث، وفي سنة ١٢٣٨م بأمر من جزيجوري التاسع. وفي سنة ١٢٤٠م بأمر من أنوسنت الرابع وفي سنة ١٣٢٥م بأمر من البابا جون الثاني والعشرين. وفي سنة ١٣٣٧م بأمر من بندكت الثاني عشر.

ويقول السير توماس أرنولد الذي تحدث عن هذه الطائفة بعد أن ذكر دخولهم في الإسلام: "ولعل السبب في رضا البوجوميل لأنفسهم، أن ينتظموا في سلك عامة المسلمين المؤمنين، راجع إلى مواضع كثيرة تتشابه فيها عقائدهم الخاصة ومبادئ الإسلام، فقد رفضوا عبادة مريم العذراء ونظام التعميد، وكل صورة من الكهنوت وأنكروا الصليب رمزا دينياً، وعدوا من عبادة الأصنام الانحناء أمام الصور الدينية والتماثيل وآثار القديسين، وكانت بيوت صلواتهم ساذجة خالية من الزينة،وهذا على خلاف الكنائس الكاثوليكية الرومانية التي تحلت بالزخارف الزاهية، وشاركوا المسلمين في كراهية النواقيس التي أطلقوا عليها "أبواق

---

(١) نفس المصدر.

(٢) مملكة كانت توجد في شبه جزيرة البلقان في القرون الوسطى المسيحية.

الشيطان" واعتقدوا أن المسيح نفسه لم يصلب وإنما حل محله شبح آخر،وهم يتفقون في هذه الناحية في جانب مما جاء به القرآن"[(١)].

ثم ذكر توماس أن هذه الطائفة قد اختفت بعد الفتح التركي للبوسنة في القرن الخامس عشر الميلادي. ومهما يكن من أمر، فإن وجود هذه الطوائف التي أشرنا إليها لدليل واضح على أن قضية الصلب لم تكن موضع إجماع بين المسيحيين.

١٨- ورد في إنجيل يوحنا أن الجنود الرومانيين واليهود الذين جاءوا للقبض على المسيح رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض حينما قال لهم المسيح: من تطلبون؟ فقالوا له يسوع الناصري، وقال لهم أنا هو.

فرجوع الجنود وسقوطهم –كما يقول يوحنا – دليل على أنهم لم يتمكنوا من القبض عليه فضلاً عن صلبه، ولعل نبي الله عيسى عليه السلام رفعه الله إليه في ذلك الوقت. ويقوي هذا الاحتمال كون تلاميذ المسيح هربوا من عنده ولم يبق لديه أحد منهم[(٢)].

١٩- قصة الصلب وردت في الأناجيل مختلفة متعارضة مما يجعل القارئ يفقد الثقة في صحة رواية الأناجيل لتلك الحادثة. ومن أمثلة التعارض التي نجدها في تلك الأناجيل:

(أ) ما ورد في إنجيل متى أنه (صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٢٨٨، طبع بالقاهرة سنة ١٩٧١م بمطبعة لجنة التأليف والترجمة.

(٢) انظر: الذات الإلهية ص١٨١-١٨٢.

عن اليسار، وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رءوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب[1].

وفي إنجيل لوقا: "وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدّف عليه قائلا: "إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا فأجاب الآخر وانتهره قائلا أولا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه أما نحن فبعدل؛ لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله، ثم قال ليسوع: اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك، فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس"[2].

وعندما نتأمل هذين النصين نجد أن متى يخبر بأن اللصين كانا يسبانه،ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه والآخر كان ينكر على الذي يسبه ويزجره، فأي الأناجيل نصدق؟!

(ب) تذكر الأناجيل الثلاثة ماعدا إنجيل (يوحنا) أن إنساناً قيروانياً اسمه سمعان سخروه ليحمل صليبه، يقول متى:

"وفيما هم خارجون، وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه"[3]. وهكذا ورد في مرقس ولوقا.

أما يوحنا فيقول لنا: إن المسيح نفسه – وليس سمعان – هو الذي حمل

---

(١) متى ٢٧ : ٣٨-٤٠.

(٢) راجع لوقا ٣٢ : ٣٩-٤٣.

(٣) متى ٢٧ : ٣٢.

صليبه.. "فأخذوا يسوع ومضوا به لخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط"[1].

(ج) كما نجد اختلافاً واضحاً في الأناجيل لجواب المسيح عليه السلام لرئيس الكهنة عندما كان يسأله.. فعندما قال رئيس الكهنة للمسيح هل أنت ابن الله؟

يقول متى: إن المسيح قال: أنت قلت، بينما يذكر مرقص أن المسيح قال لرئيس الكهنة: أنا هو.

أما يوحنا فقد جاء فيه: أن رئيس الكهنة سأل يسوع عن تلاميذه وعن تعاليمه. أجابه يسوع، أنا كلمت العالم علانية... لماذا تسألني أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم؟ هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا"[2].

وأعتقد أن الخلاف بيّن بين الأناجيل الثلاثة. فرواية يوحنا يفهم منها أن المسيح أحال سائله على تلاميذه والذين سمعوا دعوته؛ لأنها كانت علانية لا خفاء فيها.. بينما نرى متى يقرر أن المسيح هو الذي أجاب بنفسه قائلا: "أنت قلت" – أي هكذا تزعمون ولم يصدر هذا مني – أما مرقص فيؤكد أن المسيح أجاب بالإيجاب قائلا: "أنا هو"!!!

كذلك نجد اختلافا بين روايات الأناجيل وهي تحكي لنا ما أجاب به المسيح بيلاطس فبعضها يبين أن المسيح رفض الإجابة كما يذكر متى ومرقس، وبعضها

---

(١) يوحنا ١٩ : ١٦-١٨.

(٢) يوحنا ١٨ : ١٩-٢١.

يقول: إنه أجاب كما يروي يوحنا. ولا ريب أن اختلافها في الحديث عن تلك الحادثة بالنفي والإثبات يجعلنا نفقد الثقة في صحة تلك الروايات جميعا..!!

٢٠- في أوائل الأصحاح ١٧ مرقس ولوقا في الأصحاح ٩ حديث التجلي وأن يسوع صعد إلى الجبل ليصلي ومعه بطرس ويوحنا ويعقوب.

فبينما هو يصلي إذ تغير وجهه وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق ونظروا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهر لهم وجاءت سحابة فأظلتهم فأما التلاميذ الذين كانوا معه فوقع عليهم النوم فناموا، وهذا دليل على رفع المسيح في تلك الساعة وصيانته من يد أعدائه اليهود.

وأي مانع من أن يكون ذلك قد وقع في اليوم الذي طلبته فيه اليهود أو قبله بيوم أو يومين والرواة تناقضوا واختلفوا في نقلها كما تناقضوا في نقل غيرها[(١)].

٢١- جاء في إنجيل يوحنا الأصحاح الثامن عشر أن المسيح حين قال لهم: إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، أليس في هذا خذلان أعداء الله ووقاية المسيح أن يمسوه بسوء فلا يبعد أنهم لما سقطوا مغشيًا عليهم ارتفع معززاً أو تنحى عنهم في تلك الساعة ثم صعد كما قال تعالى في القرآن العظيم ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ فوقع منهم ما وقع على الشبه[(٢)].

٢٢- روى أصحاب الأناجيل الأربعة أن المصلوب قد استسقى اليهود فأعطوه خلاً ممزوجاً بمر فذاقه ولم يشربه، على اختلاف بينهم في فروع الحكاية لا

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨٦.
(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص٢٨٧.

في أصلها، مع أنهم يروُن في هذه الأناجيل أن المسيح كان يطوي أربعين يوماً وأربعين ليلةً، ويقول للتلاميذ: إن لي طعاماً لستم تعرفونه كيف يظهر الحاجة والمذلة لأعدائه بسبب عطش ساعة واحدة؟ هذا لا يفعله آحاد الناس فضلاً عن خواص الأنبياء أليس في هذا دليل على أن المطلوب المستسقِي هو غيره المشبه به؟[1]

٢٣- ورد في إنجيل برنابا وهي النسخة التي أثبتها العلماء قبل الإسلام بنحو ثلاثمائة سنة أن المسيح عليه السلام لم يصلب وإنما الذي صلب هو يهوذا الإسخريوطي الذي ألقى عليه شبه المسيح، وقد جاء في إنجيل برنابا ما يلي: "ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنوجم غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم.

فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرقة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد.

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياماً فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا "أنت يا سيد هو معلمنا أنسيتنا الآن".

---

(١) انظر: أبا عبيدة الخزرجي ص١٩٩، وانظر – أيضا – الفارق ص٢٨٨.

أما هو فقال مبتسماً: "هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي" وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه، أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين... فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه؛ لأنه أنكر وهو صادق أنه يسوع فقال الجنود مستهزئين به: "يا سيدي لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكا على إسرائيل وإنما أوثقناك لأننا نعلم أنك ترفض المملكة"[1].

٢٤- لو سلمنا هذه العقيدة لوجب القول بعدم تسليم النبوات؛ لأنه إذا كان مثل إبراهيم وموسى عليهما السلام متلبسين بهذه الخطيئة ومن أهل الجحيم إلى وقت الصلب فكيف اصطفاهما ربهما فاتخذ إبراهيم خليلاً وموسى كليماً؟! ولاسيما أن الكتاب المقدس قد شهد لهؤلاء الأنبياء بالصلاح والبر.

٢٥- قوله: "إلهي إلهي لم خذلتني"؟ كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزهٌ عن ذلك، فيكون المصلوب غيره، لاسيما وأنتم تقولون إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه، ويخلِّصه من الشيطان ورجسه، فكيف تروون عنه ما يؤدي إلى خلاف ذلك؟! مع روايتكم في توراتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم فلم يجزعوا من الموت، ولم يهابوا مذاقه ولم يعيبوه، مع أنهم عبيداً لله، والمسيح – بزعمكم – إله ورب، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره[2].

---

(١) إنجيل برنابا: الفصل الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر بعد المئتين.
(٢) الخزرجي ص١٩٩، ٢٠٠.

٢٦- من الأمور التي يجب أن ندركها جيدًا في عقيدة الكفارة أنه على الرغم من أهمية تلك العقيدة في الديانة المسيحية وخطورتها حيث عليها أكثر العقائد والطقوس إلا أنها لم ترد مفصلةً واضحةً في أناجيل النصارى بل نجدها مبعثرة في مواضع كثيرة في الكتب الأساسية لتلك الديانة، ومؤلفات مؤسس تلك الفلسفة. فإذا نظرنا إلى الإسلام مثلاً وجدناه يطنب في ذكر العقائد الأساسية التي يقوم عليها كعقيدة التوحيد، والنبوة، واليوم الآخر، ويفصل ذلك تفصيلاً، بأسلوب يقنع العقل والقلب معاً، لكن الأمر في الديانة المسيحية يختلف عن ذلك كل الاختلاف فالمعتقدات التي ترتكز عليها المسيحية وتميزها عن الأديان الأخرى لا يوجد لها ذكر في الأناجيل، ولا يوجد لها شرح على لسان المسيح عليه الصلاة والسلام أو أحد حوارييه، مثال ذلك عقيدة التثليث، وعقيدة الحلول والتجسد، وكذلك عقيدة الكفارة التي نحن بصدد الحديث عنها، وإليك أيها القارئ الكريم تلك الجمل التي وردت في الأناجيل، ويزعم السادة المسيحيون أن عقيدة الكفارة مستنبطة منها:

١- "فستلد ابناً، وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"[١].

٢- "إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"[٢].

٣- "لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته لجميع الشعوب"[٣].

---

(١) متى ١ : ٢١.
(٢) لوقا ٢ : ١١.
(٣) لوقا ٢ : ٣٠.

٤- "لأن ابن الإنسان قد جاء، لكي يطلب ويخلص ما قد هلك"[١].

٥- "كما أن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليخدم، بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"[٢].

٦- "لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"[٣].

تلك هي النصوص التي يستدل بها على عقيدة الكفارة.

ولا يوجد في شأن عقيدة الكفارة شئ في الأناجيل سوى هذه الجمل، وقد بلغ من شهرة هذه العقيدة أنها تتبادر إلى الذهن بمجرد قراءة هذه الجمل سالفة الذكر بيد أننا نتساءل في إنصاف: لو قرأ إنسانٌ هذه الجمل وهو فارغ الذهن من تفصيلاتها هل يمكن أن يستنبط منها تلك العقيدة المعقدة المطولة التي يحكيها علماء النصارى في كتبهم؟ الإجابة بالطبع لا..! إنما المفهوم الواضح البسيط الذي يمكن أن يأخذه الباحث المنصف من تلك الجمل أن المسيح عليه السلام من أجل إخراج الناس من الضلال ولتوفير أسباب مغفرة خطاياهم الماضية، مستعد حتى لبذل نفسه، وهو في هذه الجمل يعرب عن استعداده لها.

ونحن نسأل أهل الذكر من النصارى: كيف تفيد هذه العبارات المبهمة أن سيدنا آدم عليه السلام كان قد سلبت حريته الإرادية من أجل خطئه، ولذلك

(١) لوقا ١٩ : ١٠.
(٢) متى ٢٠ : ٢٨، مرقس ١٠ : ٤٥.
(٣) متى ٢٦ : ٢٨.

فركبت "الخطيئة الأصلية" مع طبيعته وطبيعة أولاده، فاستحق كل رضيع العقاب والعذاب الدائم؟؟! ثم تحمل هذه "الخطيئة الأصلية" للعالم كله، أقنوم الله الابن، بكونه مصلوباً، مما غفرت منه خطايا جميع الناس؟! أليس كتابكم المقدس نفسه هو الذي صرح بما يهدم هذه العقيدة عندما قال: "النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون"؟؟[1]

وإذا كان غرض المسيح عليه السلام بيان عقيدة الكفارة بهذه الجمل التي أوردناها سابقا،فلماذا لم يبينها بتفاصيلها؟ خصوصاً وأنكم ترون أنها من العقائد الأساسية في المسيحية والإيمان بها مناط النجاة؟[2]

ثم إنه أليس في الإمكان أن يستنبط من تلك النصوص فهم آخر؟ وهو أن المسيح عليه السلام قد تحمل خطايا وذنوب جميع أمته، فمهما أذنب الناس إلى يوم القيامة لا يعذبون، وذلك ما ظلت الكنائس كلها تنفيه منذ اليوم الأول؟

إن المنصفين من علماء المسيحيين عندما قرأوا هذه الجمل أخذوا منها هذا المفهوم البسيط الصحيح الذي أشرنا إليه بدل أن يأخذوا منها تلك الفلسفة المعقدة!!

وممن مال إلى هذا الفهم "كوائليس تيس" في الدور الأول من تاريخ المسيحية[3] وبذلك شرحت الفرقة السوزينية هذه الجمل، وقيل في دائرة المعارف

---

(١) حزقيال ١٨ : ٢٠.

(٢) انظر: ما هي النصرانية ص١٥٧ وما بعدها.

(٣) Augustine, On Originasl sin, ch. II. P. 621 VI.

البريطانية في معرض الحديث عنهم: "إنهم كانوا لا يرون في حياة وموت المسيح عليه السلام إلا طريقاً جيدًا للخلاص والنجاة"[1].

وكذلك كان يرى "ايبي لارد" أن معنى الكفارة أن حياة وموت المسيح درسا كاملا للعطف والرحمة[2].

وبهذا نخلص أن المفهوم المتبع لعقيدة الكفارة اليوم، لا يثبت بقول من أقوال سيدنا المسيح عليه السلام، وأن الجمل التي استدل بها عليها، مفهومها الواضح البسيط غير ما أريد منها.

فإذا ولينا وجهنا شطر الحواريين فلا نجد عندهم أيضا جملة تستند إليها عقيدة الكفارة، إذاً فإن الرجل الأول الذي جاء بعقيدة الكفارة بجميع فلسفاتها هو "بولس" الذي يقول في إحدى رسائله إلى الروميين:

"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع، فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم، على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس، لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي، ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة؛ لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين، وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية؛ لأن الحكم من واحد للدينونة، وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير؛ لأنه إن

(١) دائرة المعارف البريطانية ج٢، ص٦٥٢، مقالة "الكفارة".
(٢) المصدر نفسه.

كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح، فإذاً كما بخطية واحدٍ صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة؛ لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً"؟[١]

ويضيف قائلا بمزيد من الشرح والإيضاح:

"أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة؛ لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستبعد أيضا للخطية"[٢].

ومهما يكن من أمر فإن عقيدة الكفارة بالصورة التي يقول بها المسيحيون لم تؤثر عن المسيح ولا الحواريين وإنما هي من اختراع بولس فهو الذي أسسها ووضع أصولها.

عقيدة الصلب وثنية ..

ومما يؤكد بطلان القول بصلب المسيح عليه السلام ما قرر علماء أوربا ومؤرخوهم وعلماء الآثار أن عقيدة الصلب والفداء انتقلت إلى النصارى من الديانات الوثنية التي سبقت المسيحية.. وإليك بعضاً مما قاله علماء أوربا حول هذه العقيدة:

---

(١) الروميون ٥ : ١٢-١٩.

(٢) الروميون ٦ : ٣-٦.

(أ) قال (دوان) في كتابه خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الأخرى، ص١٨١، ١٨٢ ما يلي:

"يعتقد الهنود أن كرشنا المولود البكر – الذي – هو نفس الإله فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم – تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه"[1].

وذكر أن (مستر مور) قد صور كرشنا مصلوباً كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين، وعلى قميصه صورة قلب الإنسان معلقاً. ووجدت له صورة مصلوباً وعلى رأسه إكليل من الذهب. والنصارى تقول: إن يسوع صلب وعلى رأسه إكليل من الشوك[2].

وقال (هوك) في ص٣٢٦ من المجلد الأول من رحلته: "ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة"[3].

وقال القس جورج كوكس في كتابه (الديانات القديمة) في سياق الكلام عن الهنود: "ويصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً؛ لأنه قدم شخصه ذبيحة، ويقولون: إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه"[4].

وقال العلامة هوك – أيضاً – في نفس الموضع من كتابه السابق "ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية، ومما يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٤١.
(٢) المصدر السابق ص٤٣ وتفسير المنار ٢٨/٦.
(٣) تفسير المنار ٢٨/٦.
(٤) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٤٢.

يتوسلون بها... "إني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتي شريرة وحملتني أمي بالإثم فخلصني ياذا العين الحندقوقية يامخلص الخاطئين يا مزيل الآثام والذنوب"[(١)].

(ب) وأما ما يروى عن البوذيين في (بوذه) فهو أكثر انطباعاً على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه، حتى إنهم يسمونه المسيح، والمولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون: إنه إنسان كامل، وإله كامل تجسد بالناسوت، وإنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبون عليها ويجعلهم وارثين لملكوت السموات. بيّن ذلك كثير من علماء الغرب منهم (بيل) في كتبه (تاريخ بوذا) و(هوك) في رحلته و(مولر) في كتابه تاريخ الآداب السنسكريتية وغيرهم"[(٢)].

(ج) قال دوان: "كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهي قديم العهد جداً عند الصينيين وأن أحد كتبهم المقدسة المدعو (يكينك) يقول عن تيان: إنه القدوس الواحد ذو الفضائل السماوية والأرضية وإنه سيعيد الكون إلى البر، وأنه يعمل ويتألم كثيراً، ولابد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه وأنه الوحيد القادر على أن يقدم للرب ذبيحة تليق به... فالناس يقدمون أنفسهم ذبيحة من أجل اكتساب قوتهم، والفلاسفة لاكتساب جاه وشهرة والأمراء لتثبيت عيالهم أما القدوس تيان فلأجل الناس – يموت منذ الأزل قبل كل شيء"[(٣)].

---

(١) المصدر السابق ص٤١.

(٢) تفسير المنار ٦/٢٨.

(٣) العقائد الوثنية ص٤٧.

(د) قال العلامة موري في كتابه (الخرافات) ص٣٨٤: "يحترم المصريون أوسيريس ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة"[١].

(هـ) وكان هورس يدعى المخلص والفادي وإله الحياة والواحد الأبدي والمولود الوحيد. ويدعى أتيس أيضا الولد الوحيد المخلص فقد كان يعبده الفريجيون (وهم سكان آسيا الصغرى) ويمثلونه برجل مقيد على شجرة وتحت رجليه حمل شبيه أبولو الذي كان يعبده الميليتيون فإنهم يقولون إنه مات بالجسد وإنه حكيم عمل العجائب وقد قبض عليه جنود الكلدانيين وقتلوه وسمروه كي يزداد تألما وأنه صلب لأجل خلاصهم"[٢].

(و) قالت مسس جمصون "كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد الرجلين بحبل على خشبة وتحت رجليه صورة حمل، والسوريون يقولون: إن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس ويدعونه – المخلص – والفادي المصلوب، وكانوا يحتفلون في يوم مخصوص من السنة تذكاراً لموته فيصنعون صنما على أنه هو يضعونه على فراش ويندبونه والكهنة ترتل قائلة – ثقوا بربكم فإن الآلام التي قاساها قد جلبت لنا الخلاص"[٣].

---

(١) السابق ص٤٨.

(٢) السابق ص٤٨–٤٩.

(٣) العقائد الوثنية ص٤٩.

شبهات النصارى على القول بالصلب

[الشبهة الأولى] يدعي بعضهم أن مسألة الصلب متواترة فالعلم بها قطعي..

الرد على هذه الشبهة :

دعوى تواتر الصلب باطلة، لأن التواتر معناه أن يخبر جمع كثير عن جمع كثير عن جمع كثير لا يجوز العقل اتفاقهم على الكذب في الإخبار عمن قبلهم، وأن يكون كل فرد من كل طبقة قد سمع جميع الأفراد الذين يحصل بهم التواتر ممن قبلهم.. وأن يتصل السند هكذا إلى الطبقة الأخيرة، فإذا اختل شرط من هذه الشروط لا ينعقد التواتر..

فإذا جئنا إلى القضية التي معنا – قضية الصلب – وجدنا هذه الشروط غير متوفرة فيها؛ لأن كتاب الأناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون حد التواتر، ولم يخبر أحد منهم عن مشاهدة، ومن شاهد –كبعض النساء – لا يؤمن عليه الاشتباه والوهم ومما يؤكد ما نقول: ما ورد في إنجيل يوحنا: أن مريم المجدلية وهي أعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت أنه البستاني، كما أني ذكرت فيما سبق نصًا يرونه عن المسيح أنه قال لهم: "إنهم يشكون فيه" وكذلك قال مرقس: إنه ظهر لهم بهيئة أخرى.

كما أن المسيح كانت له معجزات، وخوارق عادات، فلا يبعد أن يلقي شبهه على غيره، وينجو بالتشكل بصورة غير صورته، ثم إن ما عزي إليهم لم ينقله عنهم

عدد التواتر بالسماع منهم طبقة بعد طبقة إلى العصر الذي صار للنصارى فيه ملك وحرية يظهرون فيها دينهم.

[الشبهة الثانية]:

يقولون لو لم تكن هذه القضية متواترة متفقاً عليها لوجد فيهم من أنكرها كما وجدت فيهم فرق خالفت الجمهور في أصول عقائده كالتثليث ولم تخالفه في هذه العقيدة.

الرد على هذه الشبهة:

الذين لهم دراية وعلم بتاريخ النصارى يعلمون أن الصلب قد أنكره من النصارى فرقة السيرنثيين، والتاتيانوسيين – أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد – والباسيليديين، والكاربوكراتيين وغيرهم..

وورد مثل ما قاله القرآن في كتب أخرى كالكتاب المسيحي رحلة الرسل وهو يشبه كتاب الأعمال الذي عند النصارى الآن وفيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وغيرهم ومما ورد فيه أن المسيح لم يصلب وإنما صلب واحد آخر بدله كما رواه العلامة سيل الإنجليزي مترجم القرآن وآخر يدعى (فتيوس) وكذا ما ورد في إنجيل برنابا وهو أحد الأناجيل التي رفضها المسيحيون يؤيد ما أتى به القرآن تماماً[1]. ومن يدري لعل تلك الكتب التي رفضتها الكنيسة وأمرت بإحراقها كانت تنكر الصلب أيضاً!. فنحن لا نثق في اختيار المجامع فنجعله حجة ونعد ما عداه كالعدم.

---

(١) انظر د/ محمد توفيق صدقي: دين الله في كتب أنبيائه ص١٤٤ ط/الأولى بمطبعة المنار ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.

الشبهة الثالثة:

يقولون: إن الأناجيل قد أثبتت الصلب وهي كتب مقدسة معصومة من الخطأ فوجب اعتقاد ما أثبتته.

الرد على هذه الشبهة:

هذه الكتب التي تسمى بالأناجيل ورسائل العهد الجديد – أيضا – كلها ليست معصومة من الخطأ للأدلة الآتية:

(أ) إن هذه الكتب قد ضاعت نسخها الأصلية، ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها.

(ب) إن تلك الكتب ليس منها كتاب تصح نسبته إلى الذي ينسب إليه،فليس لأي منها سند تاريخي يوثق به لأنها غير متواترة.

(ج) هذه الأناجيل متعارضة متناقضة خصوصا في قضية الصلب[١].

(د) أنها معارضة بأمثالها كإنجيل برنابا وترجيحهم إياها على هذا الإنجيل لا يصلح مرجحاً عندنا؛ لأنهم اتبعوا في اعتمادها تلك المجامع التي لا ثقة لنا بأهلها، ولا كانوا معصومين عندهم ولا عندنا[٢].

(هـ) أنهم معارضة بالقرآن الكريم وهو الكتاب الإلهي الذي وصل إلينا بالتواتر دون غيره من سائر الكتب، فهذه الكتب التي تخبر عن صلب المسيح لا تفيد أكثر من الظن بالقرائن، والقرآن الذي نفى صلب المسيح قطعي فوجب تقديمه؛ لأنه يفيد العلم القطعي الذي لا ريب فيه.

---

(١) راجع ص من هذا البحث.

(٢) تفسير المنار ٣٠/٦.

[الشبهة الرابعة]:

يقولون: إذا جاز أن يشتبه في المسيح ويجهل شخصه الجنود الذين جاءوا للقبض عليه والحكام ورؤساء الكهنة الذين طلبوا صلبه بعد القبض عليه، فهل يجوز أن يشتبه في ذلك تلاميذه ومريدوه الذين يعرفونه حق المعرفة؟

الرد على هذه الشبهة:

يمكن أن يُشبه بعض الناس بعضا إلى درجة يكون من العسير أن يميز أحد بين المتشابهين، وقد أوردت كتب الطب الشرعي أمثلة لذلك. أذكر منها تلك الحادثة التي ذكرها "جاي" و"فريد" في مؤلفهما: (أصول الطب الشرعي) في اللغة الإنجليزية[1]. وهذه الحادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهدا لمعرفة شخص يدعى "مارتين جير" فجزم أربعون منهم أنه هو هو، وقال خمسون: إنه غيره، والباقون ترددوا جدًّا، ولم يمكنهم أن يبدوا رأيا، ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير "مارتين جير" وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون وعاش مع زوجة مارتين محاطا بأقاربه وأصحابه ومعارفه مدة ثلاث سنوات، وكلهم مصدقون أنه مارتين، ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهداً آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه مارتين وقال سبعة: إنه غيره، وتردد الباقون، وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩م، في فرنسا وأمثالها كثير.

الشبهة الخامسة:

وقد يقول قائل: إن المسيح قد قام من قبره بعد موته ودفنه وظهر للنساء

---

(١) نقلا عن تفسير المنار ٦/٣٣.

ولتلاميذه ولأناس آخرين، ورأى بعضهم أثر المسامير في جسده، وقد اتفقت على قيامه جميع الأناجيل، فكيف يجمع بين هذا وبين القول بأن الذي صلب غيره؟

الرد على هذه الشبهة:

نحن لا نستبعد أن يكون قد شاع في ذلك الوقت أن يسوع قد قام من قبره، وأنه ورأى بعض النساء وبعض التلاميذ واضطربت الأقوال في ذلك فكتب كل صاحب إنجيل حسب ما بلغه وسمعه من تلك الإشاعات وهذا يفسر لنا الاضطرابات الشديدة والتناقض العجيب الذي تحتوي عليه الأناجيل وهي تحكي قصة قيامة المسيح، وقد يكون سبب تلك الإشاعات تخيل مريم المجدلانية خصوصا وأن الأناجيل تذكر أن المسيح أخرج منها سبعة شياطين (!!!) فامرأة عصبية المزاج كهذه، يحتمل أنها تخيلت أنها رأت المسيح وكلمته، وتجوز أن الرؤية الخيالية اتفقت لغيرها أيضا من التلاميذ أو غيرهم بعد أن سمعوها منها..

وأمثال هؤلاء العامة لا يقدرون على التمييز بين الحقيقة والخيال، ألم تر أنهم يروون أن المسيح وبخهم على غباوتهم وضعف إيمانهم بعد أن كانوا عاشروه زمناً شاهدوا فيه ما أيده الله تعالى به من المعجزات، كما أنهم لضعفهم تركوا نبيهم وقت الشدة وأنكره أمثلهم وارتشى عليه بعضهم.

فأمثال هؤلاء الصيادين والنساء لا يستغرب منهم عدم التمييز بين الحقيقة والخيال، وطالما وقع مثل ذلك في حال الانفعالات العصبية للناس، كالحزن، والخوف، والعشق، يتراءى للإنسان في مثل هذه الأحوال شخص يكلمه زمناً طويلاً أو قصيراً كما يحصل في الرؤى والأحلام ومما يؤكد ما ذهبنا إليه الواقعة

التي رواها صاحب كتاب (الذهب الإبريز) من القسم الثاني ووقعت في بلدهم (فاس) قال: أخبرني بعض الجزارين أنه مات له ولد كان يحبه كثيراً وأنه لم يزل شخصه في فكره حتى إن عقله وجوارحه كانت كلها معه فكان هذا دأبه ليلاً ونهاراً إلى أن خرج ذات يوم إلى باب الفتوح أحد أبواب (فاس) لشراء الغنم على عادة الجزارين فجال فكره فيه إذ رآه عياناً وهو قادم إليه حتى وقف إلى جنبه – قال فكلمته وقلت له: يا ولدي خذ هذه الشاة – لشاة اشتريتها – حتى أشتري أخرى وقد حصلت غيبة قليلة عن حسي، فلما سمعني من كان قريباً أتكلم مع الولد قالوا: مع من تتكلم أنت؟ فلما كلموني رجعت إلى حسي وغاب الولد عن بصري فلا يدري... ما حصل في باطني من الوجد عليه إلا الله تبارك وتعالى[1].

وما كل من يقع له مثل هذا يعلم أن هذه رؤية خيالية كالرؤية المنامية.

وهناك واقعة ثانية حدثت في مصر فقد تخيل بعض الناس أن الشيخ المتبولي خرج من قبره المعروف بجوار محطة مصر ووقف على قبته ثم طار في الهواء ونزل على الكنيسة الجديدة التي ينشئها اليونانيون، ولما شاع هذا الخبر في القاهرة اجتمع خلق كثير من العامة عند الكنيسة وصاروا يهتفون باسم المتبولي، ففرقتهم الشرطة بالقوة، وادعى كثير منهم أنهم رأوا المتبولي فيها، وروت بعض الجرائد اليومية أن مجذوباً من أبناء السبعين قال أنا المتبولي فصدقه الناس، وصاروا يتبركون به، ولولا حزم الحكومة لحدث بين عوام المصريين واليونانيين من جراء هذه المسألة فتن سفكت فيها الدماء، ولكن الحكومة تداركت ذلك وفرقت شمل الجماهير وقبضت على بعضهم وحسبتهم[2].

---

(١) تفسير المنار ٦/٤٠.

(٢) السابق ٦/٤٤.

يتبين مما تقدم أن الإشاعات التي تبنى على تخيل بعض الناس كثيرة تقع في كل زمان ومكان ويصدقها كثير من الناس.

وقد بين ذلك العالم الاجتماعي الفرنسي (غوستاف لوبون) في كتابه (روح الاجتماع) فقال: "إن سرعة تصديق الجماعة ليس هو السبب الوحيد في اختراع الأقاصيص التي تنتشر بين الناس بسرعة، بل لذلك سبب آخر وهو التشويه الذي يعتور الحوادث في مخيلة المجتمعين، إذ تكون الواقعة بسيطة للغاية فتنقلب صورتها في خيال الجماعة بلا إبطاء؛ لأن الجماعة تفكر بواسطة التخيلات، وكل تخيل يجر إلى تخيلات ليس بينها وبينه أدنى علاقة معقولة".

وقد ذكر الأستاذ محمد رشيد رضا حادثة وقعت في فرنسا وخاضت فيها جرائد باريس، وكان منشأ الانخداع فيها الشبه قال: "أنا أكتب هذه السطور والجرائد ملأى بذكر بنتين صغيرتين وإخراج جثتيهما من نهر (السين) عرضت الجثتان فعرفهما بضعة عشر شخصاً معرفة مؤكدة، واتفقت أقوالهم فيها اتفاقاً لم يبق معه شك في نفس قاض التحقيق فأذن بدفنهما، فبينما الناس يتأهبون لذلك ساق القدر البنتين اللتين عرفهما الشهود بالإجماع وظهر أنهما باقيتان ولم يكن بينهما وبين المفقودتين إلا شبه بعيد جداً، والذي وقع هو عين ما وقع في الأمثلة التي سردناها: تخيل الشاهد الأول أن الغريقتين هما فلانة وفلانة فقال ذلك، فسرت عدوى التأثير إلى الباقي"[1].

---

(١) نقلا عن تفسير المنار ٦/٤٢.

أهم المراجـع

- القرآن الكريم.
- إنجيل برنابا – للقديس برنابا.
- تاريخ الأقباط – لزكي شنودة.
- تفسير المنار – للأستاذ محمد رشيد رضا.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب للمهتـدي عبـد الله الترجمان.
- الدعوة إلى الإسلام – لتوماس أرنولد.
- دين الله في كتب أنبيائه – للدكتور محمد توفيق صدقي.
- رسالة لاهوتية تاريخية على مذاهب النصارى لعفيـف بـن مومل.
- سر إسلامي – لمحمد فؤاد الهاشمي.
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية – محمد التنير.
- العهد القديم.
- العهد الجديد.
- الفارق بين المخلوق والخالق – لعبد الرحمن زاده.
- ما هي النصرانية؟ لمحمد تقي العثماني.
- مريم والمسيح – لفضيلة الشيخ الشعراوي.
- المسيحية – للدكتور أحمد شلبي.
- مجالس إيليا – مطران نصيبين.

محتويات الكتاب

هذا الكتاب

التجسد والصلب هو ركن المسيحية التى قامت عليه ، جاءت هذه الدراسة موضحة لمفهومه عند النصارى ، ناقضة لأساسه هادمة لأركانه فى مناقشة علمية رصينة ، وأسلوب هادىء متزن ، وذلك من خلال مناقشة الفكرة القائلة بصلب المسيح ، وإقامة الدليل على أن الصلب مأخوذ من الديانة الوثنية ، فرحم الله المؤلف رحمة واسعة ، وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين .

الناشر

مكتبة الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

٤ شارع أحمد سوكارنو العجوزة ت ٣٣٤٥٢٣٠٢ فاكس ٣٣٠٤٤٨٤١